
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

جدلية العلاقة بين علم التاريخ وعلم الاجتماع: سعيد عيادي أنموذجا

ذ. عزيز اليحياوي الادريسي

جامعة سيدي محمد بن عبد الله– سايس– فاس– المغرب

azz.meknes@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/12/31 **تاريخ القبول**: 2021/04/ 01

ملخص:

تتوخى هذه الورقة العلمية البحث في طبيعة العلاقة الناظمة بين علم التاريخ وعلم الاجتماع، وحدود تقاطعاتهما وتبايناتهما، وهو موضوع يستمد قيمته المعرفية وأهميته المنهجية من كونه يتعلق بفرعين رئيسيين من فروع العلوم الإنسانية، إضافة إلى أنه يسمح بمقاربة القضايا الإشكالية التي ما زالت تثار بين الدارسين والمتخصصين. ومن هذا المنطلق؛ سنحاول تسليط الضوء على بعض أبعاد حدود هذه العلاقة، من خلال التركيز على نموذج يمثله أحد اقطاب السوسيولوجيا ليس في الجزائر فحسب؛ بل وفي الوطن العربي، ألا وهو الأستاذ سعيد عيادي –رحمه الله–، الذي كانت له الجرأة الفكرية للربط بين علم التاريخ وعلم الاجتماع، فبمجرد إلقاء نظرة سريعة على مؤلفاته، نستشف من الوهلة الأولى مدى حضور البعد التاريخي بشكل ملموس وجلي فيما يناقشه من ظواهر اجتماعية، وما يسوقه من تفسيرات علمية، ومن هنا تأتي أهمية موضوع بحثنا.

الكلمات الدالة: العلوم الإنسانية، علم الاجتماع، علم التاريخ، الظاهرة الاجتماعية، المنهج التاريخي، سعيد عيادي.

Abstract:

This research paper seeks to investigate the nature of the organizational relation between the science of history and the science of sociology as well as the limits of their intersection and difference. Such topic stems its epistymological and methodological significance from being closely related to two major human sciences, not mentioning the fact that it allows researchers and specialists to approach debatable hypotheses which arise among them. Therefore, we shall try to shed light on some dimensions of the limits of this relationship by focusing on a model that is represented by one of the leaders of sociology, not only in Algeria, but also in the Arab world, namely Professor Said El Ayadi, may God have mercy on his soul. The latter had the cognitive audacity to link sociology to history. One glance at his work suffices to prove the presence of the historical dimension in his discussions of social phenomena and scientific explanations he advocates as well. At this point, the importance of the topic of the present research is manifest.

Keywords: human sciences, sociology, history, social phenomenon, historical method, Said Ayadi.

1. مقدمة:

تستهدف هذه الورقة البحثية؛ الخوض في قضية كانت ولا تزال محط نقاش وجدال كبيرين بين الباحثين والدارسين على مختلف مشاربهم الفكرية وتوجهاتهم المنهجية، الأمر يتعلق بطبيعة العلاقة الناظمة بين علم التاريخ[1] وعلم الاجتماع[2]، وحدود الاتصال والانفصال بينهما. والسياق الذي يأتي فيه اختيارنا لهذا الموضوع، هي مناسبة تكريم مجلة "مدارات تاريخية" للمفكر السوسيولوجي والباحث الموسوعي الأستاذ الدكتور سعيد عيادي –رحمه الله–، الذي يمثل بحق ظاهرة شدت إليها أنظار الكثير من المهتمين بمجال العلوم الإجتماعية.

ففضلا على تمرسه في ميدان علم الاجتماع وطول باعه في هذا العلم، عرف الرجل باهتمامه الكبير بحقل التاريخ، تجلى ذلك في استحضاره لمناهجه عند مقاربته للظواهر الاجتماعية، تشهد عليه مؤلفاته وأبحاثه.

وبناء عليه؛ وقع اختيارنا على هذه الشخصية كنموذج لإبراز معالم العلاقة الكائنة والممكنة بين علم التاريخ وعلم الاجتماع، من خلال الوقوف على جهوده الجليلة ومساهمته الفاعلة في تطوير مناهج السوسيولوجيا، بالدعوة إلى ضرورة اعتماد التاريخ كمصدر من مصادر علم الاجتماع.

وفي اعتقادنا المتواضع أن مقاربة هذه القضية يمر عبر الإجابة عن بعض التساؤلات من قبيل: ما طبيعة العلاقة بين علم التاريخ وعلم الاجتماع؟ هل هي علاقة انفصال أم علاقة اتصال؟ وإلى أي حد يمثل "سعيد عيادي" نموذجا للباحث المفكر الذي زاوج في أبحاثه بين علم التاريخ وعلم الاجتماع؟ وكيف أرسى هذه العلاقة التكاملية بين العلمين؟

سنحاول مناقشة هذه التساؤلات والإجابة عن استفهاماتها من خلال محورين: المحور الأول سنتطرق فيه إلى حدود العلاقة بين علم الاجتماع وعلم التاريخ، والمحور الثاني سنتناول فيه شخصية "سعيد عيادي" السوسيولوجي المؤرخ.

2. حدود العلاقة بين علم الاجتماع وعلم التاريخ:

يعد البحث في موضوع العلاقة بين العلوم الإنسانية[3] من أبرز المواضيع التي أثارت ولا تزال تثير نقاشا وسجالا كبيرين بين الباحثين على مختلف انتماءاتهم وتوجهاتهم، بالنظر إلى الإشكاليات المنهجية والمعرفية المرتبطة بطبيعة علومها؛ فلكل علم ميدانه ومفاهيمه ومصطلحاته وأدواته. ودون الدخول في مسألة الحدود الابستيمولوجية بين تلك العلوم –ليس

هذا محل بحثه- نود الإشارة إلى أن السمة المشتركة بينها هو "الإنسان"، الذي جعلت منه مركز اهتماماتها ومحور انشغالاتها، وهذا ما يتأكد من خلال تتبعنا للدراسات التي تدخل في نطاق العلوم الانسانية. ومن هنا تأتي أهميتها إذ تعتبر أول منهج نظري لعلاقة الفرد بالفرد الآخر، وعلاقته بالمجتمع والمحيط الذي يعيش فيه[4]. وفي هذا السياق تندرج ورقتنا البحثية، والتي نستهدف من خلالها دراسة مسألة حدود العلاقة بين علم التاريخ وعلم الاجتماع كنموذج لتوضيح طبيعة الترابط بين فروع العلوم الإنسانية.

إن مقاربة هذا الموضوع يفرض علينا رصد مختلف الآراء والمواقف التي سعت إلى رسم معالم تلك العلاقة، والتي تكشف عن تقاطعاتها وتبايناتها. وفي هذا الشأن؛ يمكن أن نميز بين اتجاهين فكريين:

- الاتجاه الأول: يؤكد على وجود اختلافات وتباينات بين علم التاريخ وعلم الاجتماع، سنعمل على توضيحه من خلال الجدول التالي:

الجدول 1: المقارنة بين علم التاريخ وعلم الاجتماع

علم التاريخ	علم الاجتماع
علم اجتماع عصور مضت.	تاريخ الحاضر.
يدرس الحوادث التاريخية الماضية التي لا يمكن تكرارها.	يدرس حقائق ثابتة ونظريات نسبية تتعلق بالزمن الماضي والحاضر.
يدرس الأحداث الإنسانية الفريدة غير المتكررة المرتبطة بزمان معين ومكان معين.	يدرس الأنماط المتكررة أو القابلة للتكرار من الأحداث الإنسانية.
يهتم بالحاضر ولكنه يضل تاريخا (التاريخ	يهتم بدراسة ظواهر ونظم اجتماعية في

الحديث والمعاصر) في أسلوب معالجته للأحداث الإنسانية ورصده لها.	مراحل تاريخية مضت، لكنه يظل علم اجتماع يميزه منظوره الذي يستخدمه في فهم الحقائق وتحليلها، وهدفه النوعي من دراستها.
يرصد كل حدث على حدة بوصفه حدثا تاريخيا نوعيا.	يدرس الحدث بوصفه مادة تاريخية لتطوير نظرية اجتماعية.
المؤرخ يهتم بالتفاعل بين الشخصية والقوى الاجتماعية العامة.	عالم الاجتماع يعنى عناية واضحة بهذه القوى الاجتماعية ذاتها.
لكل منهما نظريته وأدوات تحليله وأساليب دراسته تختلف عن الآخر.	

المصدر: عبد الله، العبد النبالي: علم الاجتماع، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، 2019م، ص 37. محمد، عودة: أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص – 36. قاسم، يزبك: التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م، ص 64.

نستخلص من الجدول أعلاه أن ثمة تباين بين العلمين؛ سواء على مستوى نوعية المواضيع وطرقة تناول الأحداث والوقائع، أو من حيث منهجية التحليل والتفسير ووسائل التعبير على الظواهر البشرية، الأمر الذي يجعل كل منهما علما متميزا عن غيره.

- الاتجاه الثاني: يرى رواده أن التداخل بين علم التاريخ وعلم الاجتماع كبير، رغم إقرارهم بوجود اختلافات بينهما، إلا أن ما يجمعهما أكثر مما يفرقهما، فكلاهما يدرس ويحلل الظاهرة الاجتماعية. ويأتي في مقدمة أولئك الرواد عالم الاجتماع الفرنسي دافيد إيميل دوركايم David Émile Durkheim الذي اعتبر أن «**التاريخ لا يمكن أن**

يكون علما إلا إذا قام بالتفسير، ولا يمكن للتاريخ أن يفسر إلا عندما يقوم بالمقارنة، وعندما يقوم التاريخ بعملية المقارنة فإن التمييز بينه وبين السوسيولوجيا ينعدم» [5]. ويضيف في نفس الإطار لوسيان بولدمان Lucien Goldmann أن «**أي واقعة اجتماعية تعد واقعة تاريخية، والعكس صحيح، مما يدل على أن علما الاجتماع والتاريخ يدرسان نفس الظواهر**»[6].

وعليه، تعتبر مسألة العلاقة بين علم التاريخ وعلم الاجتماع أبرز نموذج يوضح جدلية الترابط ودرجة التفاعل بين فروع العلوم الإنسانية، لأن من شأن ذلك أن يطور آليات اشتغالها ويوسع حقل إنتاجها، وبالتالي يعزز مكانتها ويبرز أهميتها. وفي هذا الصدد يقول فرنان بروديل Fernand Braudel إن «**نضج العلوم وتطورها يحتم عليها الوصل بمعنى الاتحاد، ونتائج كل علم يجب أن تضاف إلى بعضها البعض، من أجل تقديم صورة واضحة عن أعمال الإنسانية، المادية والمعنوية**» [7].

وحري الإشارة إلى أن أول من دعا إلى ضرورة خلق مجال للتكامل بين علم التاريخ وعلم الاجتماع وإحداث تفاعل بينهما هو العلامة ابن خلدون؛ عندما استخدم عبارة "علم العمران البشري" والذي نعته ب "الاجتماع الإنساني"، انطلاقا من حاجة كل منهما للآخر. ولقيمة كلامه نورده بنصه «**اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم... فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت... لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في**

الاجتماع الإنساني... فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق »[8].

نستشف من خلال ما سبق؛ أن علم التاريخ لا غنى له عن علم الاجتماع، والعكس صحيح، فإذا أراد الباحث استخلاص الحقائق الاجتماعية وإبراز خصائصها ورصد سيرورة تطورها، لا بد من المزاوجة بينهما. وبهذا يكون ابن خلدون أقام جسرا منهجيا بين علمي التاريخ والاجتماع[9].

وحري بنا الإشارة إلى أنه رغم هذه الدعوة الفريدة من نوعها التي أطلقها ابن خلدون منذ القرن 14م، إلا أن بروز علم الاجتماع كعلم لم يتبلور ويتشكل إلا في الربع الأول من القرن 19م بأوروبا على يد أوجست كونت Auguste Comte[10]. فضلا أن مسألة التقارب لم تبدأ بشكل بارز إلا في خمسينات وستينات القرن 20م[11].

وتأسيسا على ما سبق؛ يمكن التأكيد أن أساس علم الاجتماع هو علم التاريخ وفضله عليه كبير، على اعتبار أن « **التاريخ هو وعاء الخبرة البشرية، وهو العلم الخاص بالجهود البشرية أو محاولة الحصول على إجابات عن أسئلة تتعلق بجهود البشرية في الزمن الماضي، وفيها نتعرف على جهود المستقبل، وبدون شك فإن التاريخ يصبح علما له أصوله»** [12]

إن أهمية التاريخ بالنسبة لعلم الاجتماع، دفعت عالم الاجتماع لوران فلوري Laurent Fleury إلى القول أن «**على علم الاجتماع أن يبقى علما تاريخيا**»[13]، بمعنى أنه لا يمكن فهم وضبط ميكانيزمات الظاهرة الاجتماعية ورصد تطورها، إلا في سياق تاريخي

محدد، على اعتبار أن الحاضر قد تشكل واكتسب معالمه الأساسية من خلال مسيرة تاريخية طويلة، ولابد من العودة إلى التاريخ لتأصيل أية ظاهرة اجتماعية[14].

لقد تحولت هذه الفكرة إلى اتجاه فكري تبناه عدد من العلماء والباحثين المتخصصين في علم الاجتماع، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- ✓ دوركايم Durkheim: «**أن الماضي يمكن أن يكون ذا فائدة لعلم الاجتماع**»[15].
- ✓ هاري إلمر بارنز Harry Elmer Barnes : «**العلماء الذين يشتغلون بالعلوم الاجتماعية لا يمكنهم تجاهل التاريخ، ذلك لأن المسائل المرتبطة بأصل الإنسان وتكوينه لها أهمية بالنسبة لكافة العلوم الاجتماعية**»[16].
- ✓ كارل بوبر Karl Popper: «**لا يمكن صياغة المشاهدات التي يتخذها علم الاجتماع أساسا له إلا في صورة تقرير زمني للحوادث، أي الوقائع السياسية والاجتماعية. وهذا التقرير الشامل للحوادث السياسية وغيرها من الوقائع العامة في الحياة الاجتماعية هو ما يعرف عادة بإسم "التاريخ"، والتاريخ بهذا المعنى الضيق هو أساس علم الاجتماع**»[17].
- ✓ سعيد عيادي said ayadi بإمكان «**تحويل العنصر التاريخي إلى عمل سوسيولوجي، نستخرج من خلاله القواعد والعوامل التي شكلت مركز وقلب الحركة الاجتماعية، والتي رتبت للفئات مواقعها ونسق العلاقات**»[18].

وإجمالا يتبين من خلال ما أوردنا أن علم التاريخ يقدم خدمة كبيرة للباحثين في علم الاجتماع، ذلك أنه عندما يهتم بتتابع الأحداث والوقائع زمنيا، فهو بذلك يشكل الأساس لاستيعاب الحاضر واستشراف المستقبل. وعليه؛ يمكن التأكيد أن عالم الاجتماع ذو الحس

التاريخي هو الذي يفهم المجتمع بوصفه ظاهرة تاريخية، فيعتمد اعتمادا أساسيا على المادة التاريخية، وهي نتاج عملي المؤرخ[19]. وبناءا على ذلك أدرك المهتمون بالسوسيولوجيا قيمة المنهج التاريخي وأهميته البالغة، حيث يعد الخطوة الأولى التي تسهم في فهم الظواهر الاجتماعية، لأن تجريد هذه الأخيرة من بعدها التاريخي يجعلها وكأنها عابرة لا حياة فيها على حد تعبير أحد الباحثين[20].

وفي الوقت نفسه؛ تحول علم الاجتماع إلى أكثر العلوم منافسة ومزاحمة لعلم التاريخ، نظرا لتقاطعاتهما الكبيرة في مجال اشتغالهما. وهو ما أكده عالم الاجتماع جورج جورفيتش George Gurvitsh بقوله «**التاريخ هو المنافس الوحيد لعلم الاجتماع عند دراسة الظواهر الاجتماعية العامة، سواء في حال تطورها أو تراجعها**»[21]. وهكذا برز عدد من الباحثين في علم الاجتماع اتخذوا من المنهج التاريخي سبيلا في دراستهم للظواهر الاجتماعية، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- ✓ أسوالد اشبغلر Oswald Spengler الذي يعتبر من رواد علم الاجتماع التاريخي، اشتهر بمؤلفه "**تدهور الحضارة الغربية**"؛ ترجمه إلى أحمد الشيباني في جزأين، نشرته مكتبة دار الحياة، بيروت سنة 1964.
- ✓ علي الوردي: الكتاب الأول: "**لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**"، نشرته دار كوفان في ستة أجزاء سنة 1992 (الطبعة 2). والكتاب الثاني: "**دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث**"، نشرته دار الوراق، سنة 2007 (الطبعة 3).

✓ عبد الرحيم العطري: "**القبيلة بين المخزن والزاوية**"، دفاتر العلوم الإنسانية، الرباط، 2012.

وفضلا عما ذكر؛ وفي إطار سياق انفتاح علم الاجتماع على التاريخ، برزت مبادرات على الساحة الفكرية تطالب بضرورة انفتاح التاريخ على كل العلوم والتي من بينها علم الاجتماع، إيمانا منم بأهمية هذه الخطوة في تعزيز البحث التاريخي، وتطويره عبر انخراطه في سياق العلوم الإنسانية. وكان أصحاب هذه الدعوة هم رواد مدرسة الحوليات Les Annales[22]؛ في مقدمتهم بروديل؛ أوصوا المتخصصين في التاريخ الاهتمام بالظواهر الاجتماعية عبر سيرورة ممتدة، بهدف إعطاء عمقا أكبر للتاريخ، انطلاقا من اعتقادهم بمزايا علم الاجتماع، والمتمثلة في تزويد المؤرخين بالرؤية الاستدلالية للحدث التاريخي، تساعده في الوصول إلى الاستنتاجات الدقيقة[23]. وبهذا المنظور أمكن إعادة قراءة الماضي بطريقه أكثر دقة، والفضل في ذلك يعود إلى مدرسة الحوليات. وفي هذا الشأن؛ يؤكد بارنز Barnes أن «**لعلم الاجتماع أو علم نشاط الناس داخل الجماعات قيمة كبيرة بالنسبة للمشتغلين بالتاريخ، فهذا العلم يحاول أن يصنف ويحلل مختلف القوى... ولذلك فهو العلم الاجتماعي الأساسي والوحيد الذي يمكن أن يعطي فكرة عامة عن التفاعل الاجتماعي وعن السببية الاجتماعية ككل**»[24].

3. سعيد عيادي[25] السوسيولوجي المؤرخ:

يعتبر الأستاذ سعيد عيادي –رحمه الله– نموذجا للمفكر السوسيولوجي المنفتح، الذي اتخذ من المنهج التاريخي مدخلا له في دراسته للظواهر الاجتماعية، فالمطلع على مؤلفاته وإنتاجاته يكتشف الأثر الجلي في مدى استحضاره للبعد التاريخي بشكل لافت؛ نذكر منها:

- البراديغم الإسلامي وإعادة البناء الحضاري، دار قرطبة- دار بن مرابط (طبع مشترك)، الجزائر العاصمة، 2009م
- ترصيص القواعد الثقافية لإعادة البناء الحضاري، دار قرطبة- دار بن مرابط (طبع مشترك)، الجزائر العاصمة، 2009م.
- موسوعة العلماء والأدباء والمؤرخين الجزائريين، تأليف جماعي، مجلدان، دار الحضارة، الجزائر العاصمة، 2014م.
- تحليل الخريطة الاستكشافية الفرنسية للجزائر سنة 1845 بقسنطينة، دار تافتيلت، العاشور، الجزائر العاصمة، 2015م.
- تاريخ السجون والمساجين في الجزائر، تاريخ تافتيلت، العاشور، الجزائر العاصمة، 2015م.
- تاريخ علم الاجتماع واتجاهاته في الجزائر: محاولة لتدوين التاريخ السوسيولوجي لعلم الاجتماع بالجزائر، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1439هـ/ 2019م. الجزء الأول.

إن هذه المؤلفات تنم عن موسوعية الرجل وثقافته العالية، وتوضح مساهمته الكبيرة في تعزيز الصلة بين علمي التاريخ والاجتماع. وفي هذا السياق؛ يعد كتابه الموسوم ب "**موقع تلمسان في تاريخ المدارس الفكرية في العالمين العربي والإسلامي**" أفضل مثال على تأثر الأستاذ بعلم التاريخ وأدواته. وهذا ما سنحاول تناوله بالدراسة والتحليل.

1.3.التوصيف الخارجي للكتاب:

العنوان	موقع تلمسان في تاريخ المدارس الفكرية في العالمين العربي

	والإسلامي
المؤلف	سعيد عيادي
دار النشر	بن مرابط
بلد النشر	الجزائر
الطبعة	الأولى
سنة الطبع	1432هـ/ 2011م
عدد الصفحات	352 صفحة
حجم الكتب	23 سم

2.3. التوصيف الداخلي للكتاب:

قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة وستة فصول.

- **المقدمة**: عمل المؤلف على إبراز أهمية موقع تلمسان بما تزخر به من مقومات، أهلها لتصبح أحد المراكز المؤثرة في العالمين العربي والإسلامي، فمن خلال إشعاعها الفكري والعلمي نجحت في استئثار اهتمام العديد من المؤرخين والمفكرين والرحالة الجغرافيين، جعلتها ملتقى لرجال الفكر والعلم والأدب، الأمر الذي عزز من نهضتها ورقيها وازدهارها.
- **الفصل الأول**: عنونه المؤلف ب "**الخصائص الفكرية والعلمية لمدينة تلمسان**": استعرض فيه بعض المميزات والسمات التي طبعت الحياة الفكرية والعلمية للمدينة، من خلال إبراز مختلف التفاعلات والتطورات التي شهدتها تلمسان، لعبت فيها بعض الشخصيات دورا حاسما ومؤثرا من أمثال: الشيخ المشدالي، ومحمد بن يلس، وسعيد

قدورة، وعبد القادر المجاوي التلمساني، ومحمد بن الأعرج الغريسي التلمساني... والذين تركوا بصمات جلية ساهمت في تنشيط الحركة الثقافية، تحولت معه المدينة إلى مركز حضاري امتدا إشعاعه إلى العالم الإسلامي.

- <u>**الفصل الثاني**</u>: وسمه المؤلف ب "**السياسة العلمية في تلمسان وأثرها في نشوء مدارس علمية**": خصصه للحديث عن العلاقة بين السياسة والعلم، فاستعرض المراحل الكبرى لتاريخ تلمسان، والتي ميزها تعاقبت العديد من الدول والإمارات الإسلامية على حكم المدينة، وما تخللها من أحداث ووقائع أثرت بصورة أو بأخرى على الوضع العلمي والفكري بها. فاستهل رصده لتلك المراحل مع العصر المرابطي، حيث برزت مدينة تلمسان كحاضرة علمية، رغم الظروف الحساسة التي كانت تعرفها تلك الفترة (حروب)، مرورا بالعصر الموحدي الذي اعتبره عصر إشعاع وازدهار تلمسان على المستويين الفكري والعلمي، شدت أنظار العديد من الباحثين في مقدمتهم المستشرق اليهودي الجزائري إيفاريست ليفي بروفينصال Evariste Levi Provencal. ثم قام المؤلف بإنجاز قراءة تركيبية للتطورات التي شهدها العصرين المرابطي والموحدي.
- <u>**الفصل الثالث**</u>: عنونه المؤلف ب "**نماذج من صانعي القوالب المعرفية في تاريخ مدارس تلمسان**": تناول فيه ظروف تأسيس الجامع الكبير الذي شكل أحد أهم مقومات الازدهار الفكري بتلمسان، تلك الظروف التي ربطها بالأحداث السياسية والعسكرية والمتمثلة في الصراع المحتدم بين الدولة العبيدية وأومراء الدولة المروانية بالاندلس. ليؤكد بعدها على الدور المهم الذي اضطلع به في نشر المعرفة عبر مراحل تاريخيه كبرى، أضحى معه منارة للإشعاع على الصعيد الإسلامي. ثم انتقل المؤلف إلى بسط سمات الحياة العلمية لمدارس تلمسان خلال القرنين 6 و7هـ/ 12 و13م؛ حيث

شهد القرن 6هـ/12م ميلاد حركة عرفانية صوفية اتخذت من الفلسفة وعلم المنطق مصدرا للمعرفة، أما في القرن 7هـ/ 13م فبرزت طبقة من الفقهاء والعلماء الذين أبدعوا في العلوم النقلية (التفسير والفقه...) والعقلية (الهندسة والحساب والطب والفلك...). وختم المؤلف هذا الفصل بتقديم ترجمة موجزة للشخصيات التي ساهمت مساهمة فعالة وكبير في ازدهار المدينة ثقافيا.

- **الفصل الرابع**: وسمه المؤلف ب **"فكر الشيخ السنوسي ومدرسته"**: استعرض فيه الجهود الحثيثة والأدوار الجليلة التي بذلها الشيخ السنوسي، سواء فيما يتعلق بصياغته لمحاور الحركة العلمية وأسسها، أو على المستوى المنهج الذي تبناه الشيخ. مما يدلل على عمق تفكيره وسعة وعيه، أهله بحق لتأسيس ما أسماه المؤلف ب "العقائد السنوسية". كما أشار إلى الصراعات الفكرية التي خاضها الشيخ ضد مذهبين متناقضين: مذهب التجسيم ومذهب الاعتزال.
- **الفصل الخامس**: عنونه المؤلف ب **"تلمسان المدينة التي لا تنسى علماءها"**: تطرق فيه إلى ثلة من العلماء الأعيان والفقهاء الأخيار الذين طبعوا سيرورة الحركة الفكرية والعلمية بتلمسان، منهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد الهواري، ومحمد التواتي البجائي، وأحمد الونشريسي، الشهاب المقري، والبليدي المتيجي، وأبو جعفر الذهبي التلمساني، وابن الخضار الكومي التلمساني. وابن قنفذ القسنطيني.
- **الفصل السادس**: وسمه المؤلف ب **"المدارس العلمية والمعرفية في تلمسان: نماذج و قراءات"**: تحدث فيه عن العوامل المساهمة في ازدهار الحركة العلمية خلال فترة حكم الدولة الزيانية، مبينا تجليات وتمظهرات هذا الازدهار. ثم استعرض أهم المدارس الفكرية التي ميزت الحياة الثقافية لمدينة تلمسان، سواء من خلال ظروف النشأة، أو المهام

الوظيفية الطلائعية والأدوار الريادية التي لعبتها من قبيل: مدرسة ابني الإمام، المدرسة التاشفينية، المدرسة اليعقوبية، مدرسة العباد، المدرسة المطمرية... إضافة إلى مدارس صوفية مثل المدرسة البوزيدية.

3.3. خصائص الكتاب وقيمته العلمية:

نشير بداية إلى ملاحظة منهجية مفادها أننا لسنا بصدد القيام بقراءة منهجية للكتاب، بقدر ما هدفنا هو تبيان خصائص ومزايا هذا العمل في أهمية انفتاح العلوم الإنسانية على بعضها البعض، خاصة بين علم التاريخ وعلم الاجتماع، نجملها فيما يلي:

- نستخلص من متن الكتاب مدى براعة المؤلف سعيد عيادي –رحمه الله– في الكتابة التاريخية، ومدى تمكنه من المنهج التاريخي وضبطه لتقنياته وأدواته، وينهض قرينة على ذلك احترامه للتسلسل الكرونولوجي وقدرته على ترتيب الأحداث زمنيا، وتوظيفه في تناول الفترة المدروسة. فعند دراسته للحياة الفكرية والعلمية لتلمسان، ورصده للظروف المساهمة في إشعاعها والمتمثلة في الأحداث والوقائع السياسية، حرص المؤلف على تتبع التطور الحضاري الذي شهدته المدينة منذ العصر المرابطي، مرورا بالعصر الموحدي، ثم العهد الزياني. ولا نستغرب منه ذلك وهو رجل ذو دراية ومعرفة بأساسيات علم التاريخ.
- نستشف من مضمون الكتاب أن المؤلف في استعراضه للوقائع التاريخية التي عرفتها تلمسان، اعتمد على طريقة رصينة ومتميزة، فهو لم يركن إلى تسجيل الأحداث وعرضها بطريقه وصفية جافة، بل جنح إلى انتهاج أسلوب استقراء الوقائع المرتبطة بالحياة الثقافية للمدينة، وتحليل ميكانيزماتها وتفسير تمظهراتها، وإبرز انتظاماتها واتجاهاتها وتمفصلاتها، ومناقشتها وفق رؤية نقدية ممنهجة، بهدف إعطاء معنى للمعطيات التاريخية، وبالتالي تقديم تصور سوسيو–تاريخي بشكل نسقي تفاعلي للتحولات التي ميزت سيرورة الحركة

الفكرية والعلمية بتلمسان، كما لا يفوتنا في هذا المقام الإشارة إلى قدرة المؤلف على التحول السلس والانتقال المرن من حقل علمي إلى آخر، تبرهن على تمكنه من التفكير المنهجي.

- استرعى انتباهنا اعتماد المؤلف على المنهج المقارن وتطبيقه بشكل رائع، وخير شاهد نسوقه في هذا الشأن أنه عندما تناول في الفصل الثاني السياسة العلمية بتلمسان، لم يكتف برصد خصائصها في العصرين المرابطي والموحدي، بل حرص على المقارنة بينها، لإبراز أبعادها وامتداداتها، وتتبع مدخلاتها ومخرجاتها للتوصل إلى قوانين يمكن تعميمها.
- على المستوى اللغوي؛ استعمل المؤلف عند تحليله للمظاهر والسمات التي طبعت الحياة الثقافية بتلمسان، وتتبع ظواهرها العلمية المتعددة، لغة مميزة ومتدرجة بأسلوب سلس وجميل، سهل التناول والاستعمال، تدل على امتلاك المؤلف قلما سيالا وغزيرا، وملكة لغوية جذابة تستأثر اهتمام القراء على مختلف مستوياتهم، وتجلب انتباههم وتحفزهم على قراءة فصوله والاستمتاع بتحليله. علاوة على متنه الذي يحمل بين طياته مادة معرفية دسمة وغنية.

4. خاتمة:

<u>على سبيل الختم:</u>

في ختام هذه الدراسة سنبدي بعض الاستنتاجات:

- ✓ حاولنا في هذه المساهمة المتواضعة إبراز طبيعة العلاقة بين علم الاجتماع وعلم التاريخ، وحدود تقاطعاتهما وتبايناتهما. وخلصنا أن نقاط التقاطع والاتصال هي أكبر من نقاط

الانفصال، ومن شأن التكامل بينهما أن يغني الأبحاث والدراسات في مجال العلوم الإنسانية.

✓ يمكن التأكيد على دور الأستاذ سعيد عيادي –رحمه الله– في تعزيز انفتاح العلوم الإنسانية على بعضها البعض، ويظهر ذلك جليا في كتبه خاصة الكتاب موضوع ورقتنا، من حيث كونه يفتح آفاقا رحبة للمزاوجة بين فروع تلك العلوم، وبالتالي توسيع نظرة الباحثين. وهذا يبرهن على الجهود الجليلة والواضحة التي بذلها الأستاذ في هذا الإطار، والتي تنطلق من رؤية أستاذ جامعي متخصص في علم الاجتماع ساهم في تعزيز التصور القائم على ضرورة انفتاح العلوم الإنسانية على بعضها البعض، وفي مقدمتها علما التاريخ والاجتماع، من خلال خلق علاقة تفاعلية وتكاملية بينهما، باعتبارهما محركا لتقدم تلك العلوم. وهي رؤية بلا شك ستفتح آفاقا واسعة لإعادة قراءة الماضي البشري بطريقة أكثر عمقا، مما سيسهم في تطوير الكتابة التاريخية.

الهوامش:

[1] – كلمة التاريخ في اللغة العربية تعني التأريخ والتوريخ بمعنى الإعلام بدخول الوقت. واصطلاحا هو بحث واستقصاء حوادث الماضي، وكتابتها بروح البحث الناقد في الحقيقة الكاملة. وفي هذا الإطار يؤكد الباحث السبتي بأنه معرفة وصناعة أو منهج يحددها الممكن من الشواهد وتتحكم فيها جملة من العوامل: شروط التأليف، تصورات تتمحور حول الإنسان والمجتمع، واختيارات منهجية صريحة أو ضمنية. حسن، عثمان: منهج البحث التاريخي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة 8، 2000م، ص 12. عبد الأحد، السبتي: التاريخ الاجتماعي ومسألة المنهج، ضمن البحث في تاريخ المغرب، حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1989، ص 43.

[2] – عرفه فيبر بأنه «**العلم الذي يحاول أن يجد فهما تفسيريا للفعل الاجتماعي، من أجل الوصول إلى تفسير علمي، إذ يعرف الفعل الاجتماعي بأنه سلوك إنساني يضفي عليه التفاعل معنى ذاتيا، سواء كان هذا المعنى واضحا أم كامنا**».عبد الله، العبد النبالي: علم الاجتماع، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، 2019م، ص 39.

ونشير إلى أن علماء الاجتماع اختلفوا فيما بينهم حول موضوع علم الاجتماع، لخصها أحد الباحثين في ثلاثة اتجاهات: الاتجاه الأول: يرى أن موضوع علم الاجتماع هو دراسة العلاقات الاجتماعية. والاتجاه الثاني: حدد أصحابه مهمة رجل الاجتماع في وظيفتين: أن يكون مختصا في دراسة ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية، وأن يدرس المقومات الأساسية للحياة الاجتماعية. والاتجاه الثالث: يتمثل في أصحاب الآراء الخاصة. للمزيد انظر: الزهرة، بن شرقية: واقع علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية، ضمن كتاب العلوم الاجتماعية الإشكاليات والتحديات، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، الطبعة الأولى، 2018م، ص 53- 54.

[3] - العلوم الإنسانية هي مجموعة من النشاطات المعرفية التي تهتم بموضوع الذات الإنسانية من خلال اهتماماتها وانشغالاتها، وأيضا من خلال لغتها وتاريخها ووجودها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، من أهم فروعها: علم الاجتماع، وعلم الاقتصاد، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس، وعلم التاريخ، وعلم الآثار...،. ونشير إلى أن ظهورها علميا ومنهجيا اقترن بعصر الأنوار الأوروبي. محمود، أحمد درويش: مناهج البحث في العلوم الإسانية، مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 1439هـ/ 2018م، ص 11.

[4] - الزهرة، بن شرقية: واقع علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية، ص 52.

[5] – محمد، العبادي: المدارس التاريخية الحديثة ومسألة الحدود بين العلوم الإجتماعية، أمل: التاريخ، الثقافة، المجتمع، الدار البيضاء، العدد 15، 1998م، ص 30.

[6] – Lucien, Goldmann: Sciences humains et philosophie, Editions Gonthier, Paris, 1966, p19.

7 -Fernand, Braudel: Ecrits sur l'histoire, Volume 1,Flammarion, Paris, 1969, p 85- 96.

8 – عبد الرحمان، ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، الطبعة الأولى، 1425ه/ 2004م، ص 92.

9 - زهر، عنابي: سلسلة في الإنتاج الفكري الجزائري، المجلد 7، موفم للنشر والتوزيع، 2000م، ص 134.

10 - ولد سنة 1798م وتوفي سنة 1857م، مفكر فرنسي أول، من أدخل مصطلح علم الاجتماع في العصر الحديث، وقام باستخدام المنهج التاريخي التحليلي مطبقا ذلك على المجتمع الفرنسي. عبد الله، العبد النبالي: علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 43.

11 - بيتر، بيرك: علم الاجتماع والتاريخ، ترجمة داوود صالح رحمة، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، الطبعة الأولى، 2007م، ص 27.

12 - محمود، محمد السيد خلف: ماهية التاريخ والعلوم المساعدة لدراسته، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 42، العام الخامس، 2018، ص 37.

13 - لوران فلوري، ماكس فيبر، ترجمة محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، 2008م، ص 25.

14 - محمد، عودة: أسس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 35.

15 - بيتر، بيرك: علم الاجتماع والتاريخ، مرجع سابق، ص 16.

16 - هاري إلمر بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبد الرحمن برج، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، الجزء الثاني، الهيئة لمصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م، ص 206.

17 – كارل، بوبر: عقم المذهب التاريخي: دراسة في مناهج العلوم الاجتماعية، ترجمة عبد الحميد صبره، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1959، ص 53.

[18] – سعيد، عيادي: تاريخ علم الاجتماع واتجاهاته في الجزائر: محاولة لتدوين التاريخ السوسيولوجي لعلم الاجتماع بالجزائر، الجزء الأول، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1439هـ/ 2019م، ص 32.

[19] – محمد، عودة،: أسس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 38.

[20] – إبراهيم، أبراش: المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2009م، ص 137.

[21] – Georges, Gurvitch : La vocation actuelle de la sociologie, (antécédents et perspectives) TII, 3° édition, Paris, 1969, p477.

[22] – دعت إلى التعاون الوثيق بين مختلف العلوم الاجتماعية، حيث انتقد منظروا المدرسة وفي مقدمتهم لوسيان فيفر LUCIEN FEBVRE المفهوم الضيق للوثيقة، ودعوا إلى انفتاح الدراسات التاريخية على علوم أخرى، مؤكدين أنه ما من «**شك أن التاريخ يكتب اعتمادا على الوثائق المكتوبة، إن وجدت. لكن يمكن، بل يجب أن يكتب اعتمادا على ما يستطيع الباحث بمهارته و حذقه أن يستنبطه من أي مصدر**». عبد الله، العروي: مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة 4، 2005، 81. عبد الهادي، المدارس التاريخية الحديثة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2013م، صص 179- 188.

[23] – علي، العبيدي: أثر ابن خلدون في تكاملية علمي التاريخ والاجتماع (السوسيولوجيا التاريخية)، المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد 5، 2017م، ص 48.

[24] – بارنز: تاريخ الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص 209.

[25] – هو الأستاذ سعيد بن محمد الشريف عيادي، ولد يوم 03 فبراير 1964م ببئر العرش، دائرة العلمة، سطيف، توفي يوم 5 أبريل 2020م، يعتبر من أعلام الفكر والثقافي في الجزائر، تخصص في علم اجتماع المعرفة. جماعة من المؤلفين، موسوعة العلماء والأدباء والمؤرخين الجزائريين، دار الحضارة، الجزائر العاصمة،

2014م، الجزء 2، ص 340. وللمزيد راجع: عبد القادر، عزام عوادي: ترجمة مختصرة للمفكر الجزائري الدكتور سعيد عيادي، https://shamela-dz.net/?p=1830